اسم المادة: السلام - الحكيم - الولي - المحسن

من سلسلة: الحسنى

لفضيلة الشيخ: حسن بن عبد الحميد بخاري

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: اسم الله السلام
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: حسن بن عبد الحميد بخاري

السلام

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تلمُّ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حُجُبَ الغفلة والشكِّ والإعراض.

فمَن كان بالله أَعرَف، كان منه أَخوَف، وبحبه أَقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أَطلَب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحية أهل الإسلام، تحية أهل الجنة إذا دخلوها: السلام، واسم ربنا –سبحانه وتعالى– الكبير المتعال: اسم السلام.

هذا الاسم العظيم سَمى الله تعالى به نفسه في كتابه الكريم في موضعٍ واحدٍ لا غير:

في سياق الأسماء الحسنى الواردة في ختام سورة الحشر في قوله –عز اسمه–: "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ" الحشر:٢٣

وثبت في صحيح مسلم أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان إذا فرغ من صلاته قال: "اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ".

صحيحٌ لم يَرِد هذا الاسم الكريم في كتاب الله العظيم إلا مرةً واحدةً فقط، إلا أن لهذا الاسم من المظاهر والآثار في كل ناحيةٍ من نواحي حياتنا معشر العباد، نجده شاهدًا، حاضرًا، قائمًا، جليًّا، وهذا عجيب!

معاني السلامة:

فالسلام في اسم الله –سبحانه وتعالى– يعني ذو السلامة، والسلامة في اسم الله العظيم ها هنا لها معنيان:

– أولهما: السلامة من كل نقصٍ وعيبٍ وآفة.

فأسماء الله –سبحانه وتعالى– سالمةٌ من كل ما يشينها وينقصها عن عظمة الكمال والجلال، وأفعال الله –سبحانه وتعالى– سالمةٌ عن العبث والخلوّ من الحكمة وما يُضادّها، وأقوال الله –سبحانه وتعالى– في غاية الحكمة والإفهام، وبهذا وصف الله كتابه فقال: "تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ

حَمِيدٍ" فصلت:٤٢، وقال أيضًا: "كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" هود:١، وقال أيضًا: "وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ" النمل:٦.

فكلام الله، وأقواله، وأفعاله، وذاته، وأسماؤه، وصفاته في غاية السلامة؛ لأنها في غاية الكمال والجلال والعظمة –جلَّ ربنا في علاه–.

– وأما المعنى الآخر الذي تضمنه اسم السلام لله ربنا –سبحانه وتعالى–: فأنه –عز وجل– يُسلِّم خَلقه من الآفات والشرور.

فهو سبحانه يَهَب السلام ويعطيه لخَلقه، ومنه يعيش الخلق في كَنَف اسمه السلام –سبحانه وتعالى–؛ لأجل ذلك فإننا إنما نعيش معنى السلام والطمأنينة ومن كل ما تأنس به النفوس في دعةٍ وراحةٍ واستقرار في ظلّ من ظلال اسم الله الكريم –سبحانه وتعالى–: السلام.

كم مرةً تأملنا أحبتي الكرام هذه الدعوات التي ما فَتِئنا ننطق بها عقب كل صلاة: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، أَعِدها مرةً وتأمل فيها مليًّا، أنت السلام، ومنك السلام، فالله ربنا –جل جلاله– هو السلام، ومنه –سبحانه وتعالى– ينبعث السلام، ويعيش الخلق في أكناف السلام الذي هو منه –سبحانه وتعالى–.

نحن أمة الإسلام، وديننا دين سلام، وتحيتنا هي السلام، "أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"[1] هذه وصية نبيكم –صلى الله عليه وسلم–.

إذ يمر المسلم فيُلقي هذه التحية التي يُعبِّر بها عن أمنٍ واطمئنانٍ وعدم إساءةٍ أو ظلمٍ أو عدوان لكل مَن يلقاه فيقول: السلام عليكم، إنك تُؤَمِّنه وتبعث بها رسالة طمأنينة وانشراح صدر أن مِثلك مسلم لا يَخرج منه أذى، ولا يمكن أن تتعدى منه إساءةٌ إلى غيره؛ لأنه مسلم ويُلقي السلام الذي ينبعث من اسم الله تعالى السلام في معانيه، وفي ظلاله، وفي آثاره.

تحيتنا السلام، وهو كما يقول ابن عباسٍ –رضي الله عنهما–: "هو اسمٌ من أسماء الله –عز وجل– جعله بينكم في الأرض؛ فأفشوه".

فأذيعوا السلام بينكم معشر العباد في وقتٍ تعيش فيه الأمم المعاصرة اليوم صراعاتٍ وصداماتٍ وأزماتٍ واختناق فكرٍ واحترابٍ شديدٍ لا تزال تشتعل حروبها هنا وهناك.

مهما تَداعَت الأمم إلى المناداة باسم السلام، وعَقْد مؤتمرات لرعاية السلام، ورفع شعارات لإحلال السلام، فلنكن على يقينٍ أمة الإسلام وربُّنا السلام أن السلام الحقيقي إنما نلتمسه من ربنا السلام –سبحانه وتعالى–.

أدركتم المقصود؟ أجل هو، لا سلام يمكن أن تَنعم به البشرية إلا في ظلال شريعة ربها السلام سبحانه، وفي طريق الالتزام بأمر ربها ونهيه؛ لأنه السلام –سبحانه وتعالى–.

"أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" الملك:١٤، شَرَع للعباد ما يُصلح حالهم، وما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم، فالسلام كامنٌ في طريق دينه وشِرعته، وإلا فكلُّ ويلٍ وثبورٍ وهلاكٍ وسوء حالٍ يقع كامنًا في العزوف عن صراطه، وتَنَكُّب شرائعه ودينه، ومخالفة أمره –سبحانه وتعالى–.

هي دعوةٌ لأمم الأرض كلها أن تكون أمةُ الإسلام بحقٍّ راعيةَ السلام، وأن تكون أَولى الأمم مَن يدل البشرية على طريق السلام، ومَن يرفع راية السلام، ومَن يعيش في معاني حُكمهم وقِيَمهم ومبادئهم معاني السلام، ليس هذا جنوحًا في القول، ولا هي حَمِيَّة لأمَّة ننتسب إليها، لكنه احتكامٌ إلى هذا الاسم الكريم الذي سمى الله تعالى به نفسه فقال عن نفسه: إنه السلام.

[1] صحيح مسلم

ونحن إنما نتعبد لربنا باسم السلام، فإذا ما دعوتَ عبد الله وأنتِ أمة الله تسألون ربكم لطفًا فيما قدَّر، ودفعًا لكربةٍ حلَّت، وشفاءً لمريضٍ في بيتكم، ورفعًا لكربةٍ ومصيبةٍ وغُمةٍ أحاطت بكم، أو سألتم ربكم رحمةً لميّتكم، أو سعةً في أرزاقكم، وقضاء دينكم، فتوسلوا باسمه السلام؛ فإن السلام منه سبحانه، وهو السلام، وإنما نلتمس كل ما نرجوه ونقصده من تحقيق المقاصد ودفع المكاره من ربنا السلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحكيم

إن معرفة أسماء الله -تعالى- وصفاته تلمُّ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حُجُبَ الغفلة والشكِّ والإعراض.

فمَن كان بالله أَعرَف، كان منه أَخوَف، وبحبه أَقرب، وعن معصيته أَبعد، وفي رجاء رحمته أَطلَب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، طابت أوقاتكم بالمسرات.

أيها الأحبة الكرام، اسمٌ في كتاب الله الكريم من أسمائه الحسنى التي تحمل صفاتٍ عظيمةً فيها غاية الحُسن والجلال والكمال، اسمٌ ورد في كتاب الله الكريم أربعًا وتسعين مرة، ليس قليلًا، ويدل ذلك على عظمة ما يحمله هذا الاسم الكريم، وجليل ما ينبغي أن تنفتح له قلوبنا معشر العباد من المعاني العظيمة لهذا الاسم الحميد وما فيه من صفاتٍ كريمة؛ إنه اسم ربنا -سبحانه وتعالى-: الحكيم.

وكثيرًا ما يقترن هذا الاسم الكريم بالعلم أو بالعزة:

"وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا" النساء:١٧، "وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" النساء:١٥٨، فالحكيم سبحانه عليم، والحكيم -سبحانه وتعالى- عزيز.

معاني الحكمة:

ربنا حكيم أي: ذو الحكمة سبحانه، والحكمة ها هنا تدور على معانٍ تجتمع في اقترابٍ أحيانًا، واختلافٍ وتباينٍ أحيانًا، إلا أنَّ من أَجَلِّ وأظهر معاني الحكمة ها هنا معنيان اثنان:

- أولهما وهو المتبادِر: أنه ذو الحكمة مِن معنى: وَضْع الشيء في موضعه، وليس ببعيدٍ عنه معنى الإتقان في الأمر والعمل.

يقول الإمام ابن جريرٍ الطبري -رحمة الله عليه-: "الحكيم الذي لا يدخل تدبيره خللٌ ولا زلل".

ويقول الحافظ بن كثيرٍ -رحمه الله-: "الحكيمُ في أقواله وأفعاله؛ فيضع الأشياء مواضعها بحكمته وعدله".

ربنا حكيم، وهو -سبحانه وتعالى- بهذا الاسم فَعِيلٌ بمعنى: مُفْعِل، أي: مُحْكِمٌ -سبحانه وتعالى- خَلقه، وله الحكمة البالغة -جل جلاله وتقدست أسماؤه-.

كم يَكبر في أعيننا مقام البشر من الحكماء، وكم نُقدِّر جدًّا حكمة حكيمٍ نرى فيه قولًا رصينًا، ورأيًا سديدًا، وموقفًا في غاية الصواب لا يختلف عليه اثنان، تَعظُم في نفوسنا أقوال الحكماء، وأفعال الحكماء، وتصرفات الحكماء، ونُجِلُّ جدًّا آراء الحكماء، بل ونحتكم إليها.

فما ظنكم بأحكم الحاكمين -سبحانه وتعالى-؟ هذا سؤالٌ جاء تقريرًا في كتاب الله: "أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ" التين:٨، إنها العظمة التي ينبغي أن تَنفرش في قلوب العباد لحكمة رب العباد -سبحانه وتعالى-.

الحكمة ها هنا أن نوقن يقينًا جازمًا أن الله ما خلق أمرًا إلا لحكمة، ولا قضى شيئًا في الكون إلا لحكمة، ولا أمرنا في شريعتنا بأمر إلا لحكمة، ولا نهانا إلا لحكمة؛ لنعترف بقَدْر عقولنا وضعفها وحدود إدراكها أمام حكمة أحكم الحاكمين.

ها هنا ينبغي أن تقف القلوب والعقول تقديرًا واحترامًا لحكمة الله فلا تعترض، بل لا حقَّ لها أن تتوجه بإشكالٍ لإدراك عَقدٍ كليلٍ وذهنٍ حسير لا يَبلُغ حكمة رب الأرباب وخالق الأرض والسماء، إيماننا بحكمته -جل وعلا- ينبغي أن تمتلئ بها صدورنا في كل مظهرٍ من مظاهر القَدَر التي كتبها الله، سواءٌ في أنفسنا، أو في الناس من حولنا، أو في شيءٍ من دنيانا التي نعيش.

تلك البراكين والزلازل التي دمرت وأفنت، تلك الحوادث التي فُقد فيها أرواحٌ وأشـــلاءٌ، وفُقد فيها أحبابٌ، وضــــاعت فيها أموال، تلك المقادير التي فيها اضـطرابٌ ويموج فيها الناس بعضـهم مع بعض، أَرِح وقَدِّر لنفسـك وعقلك قَدْره اللائق به عند عدم اسـتيعابه حكمة هذا الكون وما يسير فيه؛ فالخالق حكيمٌ، والمدبر حكيمٌ، ومُقدِّر هذه الأقدار حكيمٌ -جل في علاه-.

- ألا وإن المعنى الآخر الذي نتلمّسـه في اسمه -سبحانه وتعالى- الحكيم: هو ذلك المعنى الذي يعود إلى معنى الحُكم وهو القضاء والأمر.

وربنا -ســبحانه وتعالى- كذلك، فهو ها هنا فَعِيلٌ بمعنى فاعل، فالله -عز وجل- ذو الحُكم والأمر والنهي المُطلَق؛ لأن له الخَلق والتدبير، "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" الأعراف:٥٤، لأن ربنا حكيم أَحكم الشرائع، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأقام الحجج على خلقه؛ فهو -سبحانه وتعالى- حكيم.

ربنا -عز وجل- ذكر اسمه باسم الحكيم، وأقرَّ لعباده بوصف الحكمة؛ نعمةً منه وفضلًا سبحانه، فقال: "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" البقرة:٢٦٩، فمَن تلمَّس الحكمة بعلمٍ وحِلمٍ وأَناةٍ؛ فليطلبها من أحكم الحاكمين.

معنى اسم ربنا الحكيم -سبحانه وتعالى- يملأ القلب ثقةً بربٍّ حكيم، ورضًا بقضائه وقدره العظيم، واستسلامًـــا لأمره في العاجل والآجل، وتقديرًا عظيمًا وإجلالًا لكل حَدثٍ يحدث في أنفسنا، وفي الكون من حولنا.

تأملوا قصـة نبي الله يعقوب -عليه السـلام-، إذ فقدَ ابنه يوسـف في القصـة التي كان بينه وبين إخوته فيها كيدٌ وتدبيرٌ ومؤامرة، ما لبث أن فقدَ ابنه الآخر، أخا يوسف -عليه السلام- بنيامين، فلما رجعوا إليه قالوا: "يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ" يوسف:٨١.

أترون المصـيبة لما اجتمعت إلى أختها التي هي أكبر منها، والفقد الذي لَحِقه فقدٌ آخر؟ أترون الكربة التي وصــلت بنبي الله يعقوب -عليه الســلام- في همٍّ وغمٍّ وحزنٍ وبكاءٍ؛ فقدَ معه -عليه الســلام- بصـر عينيه؟ لكنه ماذا قال؟ قال: "عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" يوسف:٨٣.

ما أجمل أن تمتلئ القلوب إيمانًا بحكمة الله؛ فتستسلم لأمره ونهيه، وقضائه وتدبيره.

اللهم اجعل بحكمتك وقدرتك كل قضاءٍ قضيته لنا خيرًا في عاجل أمرنا وآجله.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الولي

مرحبًا بكم وحياكم الله؛

في أعقاب غزوة أحد كما تعلمون أقبل أبو سفيان –رضي الله عنه– وكان إذ ذاك مشركًا، فأشرف على القوم فجعل ينادي: "أفي القوم محمدٌ؟" –صلى الله عليه وسلم–، والنبي –عليه الصلاة والسلام– في الشِعب يقول لأصحابه: لا تجيبوه، فنادى: "أفي القوم ابن أبي قحافة؟" والنبي –عليه الصلاة والسلام– يقول: لا تجيبوه، ثم قال: "أفيكم عمر بن الخطاب؟" والنبي –صلى الله عليه وسلم– يقول لا تجيبوه، فنادى أبو سفيان: "أمّا هؤلاء فقد قتلوا جميعا، إنهم لو كانوا أحياءً لأجابوكم"، فما تمالك عمر –رضي الله عنه– نفسه أن قال: "لقد أبقى الله عليك ما يخزيك يا عدو الله" فقال أبو سفيان بحَمِيّة الجاهلية: اعلُ هُبل، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– أجيبوه، قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: "قولوا الله أعلى وأجلّ"، فقال أبو سفيان: لنا العُزّى ولا عُزَّى لكم، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: أجيبوه، قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: "قولوا الله مولانا ولا مولى لكم".

"أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" الشورى:٩.

تكرر اسم الولي –سبحانه وتعالى– في القرآن الكريم كثيرًا، في مثل قوله –تعالى–: "وَهُوَ الَّذي يُنَزِّلُ الغَيثَ مِن بَعدِ ما قَنَطوا وَيَنشُرُ رَحمَتَهُ وَهُوَ الوَلِيُّ الحَميدُ" الشورى: ٢٨، وفي مثل قوله تعالى: "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنوا يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النّورِ وَالَّذينَ كَفَروا أَولِياؤُهُمُ الطّاغوتُ يُخرِجونَهُم مِنَ النّورِ إِلَى الظُّلُماتِ" البقرة: ٢٥٧، والنبي –عليه الصلاة والسلام– كان يقول في دعائه: "اللَّهمَّ آتِ نفسي تقواها، زكِّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها"[٢]، وجاء أيضًا في الكتاب الكريم: "ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَولَى الَّذينَ آمَنوا وَأَنَّ الكافِرينَ لا مَولى لَهُم" محمد: ١١، فالله سبحانه الوليّ، وهو مولى المؤمنين.

أما الوليّ في اللغة: فيأتي بمعنى المتولي للأمر والقائم به كما يقول الإمام الخطابي –رحمه الله–، ومن ذلك يقال ولي اليتيم، وولي المرأة في النكاح؛ يعني من يتولى الأمر ويقوم به ويشرف عليه، فالله – عز وجل– متولي أمر الخلائق القائم بتدبيرها –سبحانه وتعالى– وحده لا شريك له، وهذا في اللغة: من الولْي بمعنى القرب.

ويأتي أيضًا في اللغة الوليّ: من الموالاة؛ وهي النصرة كذلك بمعنىً آخر في اللغة، وبهذا فإن معنى الآية "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنوا" كما يقول الإمام الطبري –رحمه الله–: "أي: نصيرهم وظهيرهم يتولاهم بعونه وتوفيقه" ومنه الآية الكريمة: "ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَولَى الَّذينَ آمَنوا" فإذا تولى الله عبدًا من عباده فإن الولاية تكون عامةً بمعنى التدبير والتولي للأمر، والقيام بشئون الخلق إنسهم وجنهم، أحيائهم وجماداتهم، فخالق الخلق وحده هو المتولي لأمر خلقه جل في علاه.

والولاية الثانية: الخاصة بعباده وأوليائه؛ من يتولاهم ربنا بحفظه، بنصره، يتولاهم بتأييده وتوفيقه ومنه الآية الكريمة: "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنوا".

[٢] صحيح مسلم

مما يدل عليه اسم الله –سبحانه وتعالى– الوليّ: تنزيهه –جل جلاله– أن يكون في ولايته لأحد أو في ولاية أحد له –سبحانه– شيءٌ من الذل، ولهذا قال الله –تعالى–: "وَقُلِ الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي لَم يَتَّخِذ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَهُ شَريكٌ فِي المُلكِ وَلَم يَكُن لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرهُ تَكبيرًا" الإسراء: ١١١، فالله أكبر، سواء كانت ولايةً عامةً لجميع خلقه بالتدبير والخلق والعلم والإحاطة، أو كانت ولايةً خاصةً بعباده المؤمنين وأوليائه المتقين.

إن من معاني الله –تعالى– "الولي" أيها الأخوة الكرام: أن يعيش العبد في كَنَف هذا الاسم العظيم من أسماء الله الحسنى، معنى القرب من اللهَّ؛ لأن الله وليه – سبحانه وتعالى–:"اللَّهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنوا" فمن عاش هذا المعنى وجد ثناياه مما يبعث على القوة والطمأنينة، وعدم إصابته بمكروهٍ، والنصرِ على الأعداء مهما كان عددهم وعَتادهم، والله يقول: "قُل لَن يُصيبَنا إِلّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا هُوَ مَولانا وَعَلَى اللَّهِ فَليَتَوَكَّلِ المُؤمِنونَ" التوبة: ٥١، من كان الله وليّه: اجتهد في تصفية أعماله وإخلاصها في مباعدته ومجافاته عما يغضب الله وترك المعاصي والسيئات "مَن يَعمَل سوءًا يُجزَ بِهِ وَلا يَجِد لَهُ مِن دونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصيرًا" النساء: ١٢٣

من كان الله وليه: وجد ما يبعث على قوته واطمئنانه وهو يركن إلى ربٍ عظيم، ولي فيكون له من معاني الاعتداد والنصرة والقوة ما هو لائقٌ بربٍ عظيم سمى نفسه بالولي –سبحانه وتعالى–،

يا أحبة كان من دعوات نبينا –عليه الصلاة والسلام– ما نقوله في وترنا في القَنوت: "اللهمَّ اهدِني فيمَن هدَيتَ، وعافِني فيمَن عافَيتَ، وتوَلَّني فيمَن توَلَّيتَ"[٣] إنها طلب الولاية من الله، فإذا تولى الله عبدًا اصطفاه واجتباه، وأكرم عليه وهداه، وبلغ العبد مرتبةً يقال لها ولايةُ الله، فيكون العبد وليًا لله "أَلا إِنَّ أَولِياءَ اللَّهِ لا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنونَ" يونس: ٦٢، والنبي –عليه الصلاة والسلام– قد قال الله له قل: "إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذي نَزَّلَ الكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصّالِحينَ" الأعراف: ١٩٦،

ولنا في قصة نبي الله يوسف –عليه السلام– أعظم العبرة والعِظة والطمع في نيل ولاية اللَّه؛ لما تولى اللَّه أمر نبيه يوسف –عليه السلام– أحوج القافلة إلى الماء لتأتي البئر فتخرجه مما فعله به إخوته، ثم أحوج امرأة العزيز للولد حتى تأخذه وتتبناه، ثم أحوج أهل السجن لتعبير الرؤى فيكون فيه خروجه من ذاك المكان، وأحوج عزيز مصر إلى أن يتخذه وزيرًا فكان له العظمة والرفعة والشأن، ثم أحوج إخوته للعودة إليه فكان له ما كان في ختام القصة، وقد قال في أخرها: "رَبِّ قَد آتَيتَني مِنَ المُلكِ وَعَلَّمتَني مِن تَأويلِ الأَحاديثِ فاطِرَ السَّماواتِ وَالأَرضِ أَنتَ وَلِيّي فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ تَوَفَّني مُسلِمًا وَأَلحِقني بِالصّالِحينَ" يوسف: ١٠١، فاللهم أنت ولينا في الدنيا والآخرة، أحينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا يا رب بالصالحين.

[٣] أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهم

المحسن

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تلمُّ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حُجُبَ الغفلة والشكِّ والإعراض.

فمَن كان بالله أَعرَف، كان منه أَخوَف، وبحبه أَقرب، وعن معصيته أَبعد، وفي رجاء رحمته أَطلَب.

أطيب تحيةٍ وأزكى سلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ما زالت بنا أسماء الله الحسنى تزيدنا إيمانًا، وتملأ قلوبنا بربنا عرفانًا، ونتقلب في ظلالها معانيَ تملأ الوجدان حبًّا لربنا –سبحانه وتعالى–، وخوفًا منه وإجلالًا وتعظيمًا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

ربنا عظيم، وعظمته تتجلى في كل اسمٍ من أسمائه، وفي كل صفةٍ من صفاته، فله الأسماء الحسنى والصفات العُلا.

اسم ربنا –سبحانه وتعالى– المحسن، وإن لم يَرِد في كتاب الله الكريم هذا الاسم الصريح منسوبًا إلى الله –جل جلاله–، إلا أنه قد ثبت في السنة اسم الله –عز وجل– المحسن.

في حديث الصحيحين: "إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإحْسَانَ علَى كُلِّ شيءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فأحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ".

فيما أَخرج بعض أصحاب السنن هذا الحديث بألفاظٍ متقاربةٍ، صحَّح الألباني –رحمه الله تعالى– منها ألفاظًا في مثل قوله –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ اللهَ تعالى محسنٌ"، وفي لفظٍ ثانٍ: "إنَّ اللهَ محسنٌ يُحبُّ الإحسانَ"، وثالث: "فإنَّ اللهَ مُحسنٌ يحبُّ المحسِنِين".

ربنا محسنٌ أمةَ الإسلام، وهو اسم فاعلٍ من الفعل أَحسن، من الحُسن وهو ضد القبح.

وها هنا في هذا الاسم الكريم العظيم الذي يملأ القلوب لربنا جلالًا وتعظيمًا وحبًّا، هذا المعنى يدور على شيئين اثنين:

أحدهما: معنى الحُسن، وهو الجمال والجلال.

فربنا –عز وجل– أحسنُ موجودٍ في هذا الوجود، ذاتُه أجمل الأشياء وأحسنها، وأسماؤه أحسن الأسماء وأكملها، وأفعاله –سبحانه وتعالى– أحسن الأفعال إطلاقًا، وكل حُسنٍ في هذا الكون في شيءٍ من خَلقه، عَلا أو سَفُل، فإنما هو من آثار صَنعته.

"صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" النمل:٨٨، كل جميلٍ في هذا الوجود فمِن جمال الله، وكل حُسنٍ تَلحظه العيون، وتأنس به القلوب، وتبتهج به الصدور، فإنما هو أثرٌ من آثار حُسن ربنا –جل جلاله–.

تتعلق القلوب بالجمال، وتأسِر الأبصار والأسماع والقلوب كلُّ دواعي الجمال، فلا شيء ينبغي أن يأسِر القلوب أعظم من جلال الله، وحُسن الله، وجمال الله.

هذا المعنى العظيم الذي هو حُسن ربنا –سبحانه وتعالى– نجده في مثل قوله: "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا" الأعراف:١٨٠، "اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ" طه:٨، فربنا –سبحانه وتعالى– في أسمائه وصفاته، في أفعاله وأقواله، في ذاته وربوبيته وألوهيته وكل شيءٍ متصلٍ بعظمة ربنا وجلاله، إنما هو في الكمال والجلال حُسنًا وجمالًا.

يملأ القلب هذا المعنى؛ فيفيض حبًّا لله، بل تُؤسَر القلوب إجلالًا لهذا الجلال والجمال والحُسن المنسوب إلى ربنا –تعالى الله وتبارك وتقدس–.

أما المعنى الآخر الذي يدور عليه وصف الإحسان: فهو الإنعام.

فربنا محسنٌ؛ لأنه ذو الإنعام المُطلَق الكامل على خلقه -جل في علاه-، ربنا أَحسنَ إلى خلقه؛ ولهذا قال: "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ" السجدة:٧، "فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" المؤمنون:١٤.

لا خَلقَ أحسن، ولا مخلوقَ من خَلقِ الله شيءٌ ينزل عن مرتبة الإحسان؛ لأن الخالق -سبحانه وتعالى- محسن، مُنعمٌ ربنا إلى خلقه، مُنعمٌ بإيجادهم فأحسنَ خلقهم، مُنعمٌ بتدبير شأنهم ومحسنٌ إليهم.

يُحسن الله إلى خَلقه فيسوق أرزاقهم، يُحسن الله إلينا فيكشف عن الكربات، يُحسن الله إلينا فتتوالى علينا النعماء والسرَّاء والرخاء، يُحسن الله إلينا فتنفرج الصدور، وتبتهج القلوب وتأنس؛ فيحل السَّعد والأُنس والفرح، يُحسن الله إلينا فإذا بكثيرٍ مما تكرهه النفوس عما قريبٍ ستنجلي؛ إحسانًا من الله.

يُحسن الله إلى عباده إحسانًا عامًّا لا يخرج شيءٌ عن الخلق منه، فيُحسن الله إلى خلقه أجمعين.

ولنا إحسانٌ هو أَخَصُّ بأهل الإيمان والتقوى والعرفان الذي يعرفون به ربهم فيؤدون حقه، "وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" العنكبوت:٦٩، "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" البقرة:١٩٥، إحسان الله لأهل الإيمان أَلطف وأكرم وأجمل، فيفيض عليهم -سبحانه وتعالى- من إحسانه، وأعظمُ وجوب إحسانه سبحانه إلى أهل الإيمان من طاعته ذلك النعيم والأُنس الذي يجدونه في صدورهم وفي قلوبهم فرحةً بربهم.

أرأيتم إحسانًا أعظم من لذة الطاعة التي يجدها القُوَّام في قيام الليل، والباكون في جوف الأسحار، والخاشعون من عظمة الله! سَلْهم عن السرور والنعيم الذي يخالط قلوبهم، والذي يحتويهم من كل جانب، هو والله إحسان من الله -عز وجل-.

يُنزل المطر إحسانًا، يُنبت الزرع إحسانًا، يسقينا سبحانه ويطعمنا إحسانًا، يشفينا من أسقامنا ويفرج همومنا إحسانًا، ربنا عظيمٌ محسن.

إقبال القلوب على ربٍّ محسنٍ عظيم تجعلها أكثر افتقارًا إليه، وإلحاحًا عليه، وطرقًا لبابه، ولزومًا عند أعتابه.

ربنا مُحسن، استلهام هذا المعنى عند رفع الأيدي في الدعاء، أو وضع الجباه في السجود لاستنزال المطالب ورفع الحوائج، يجعلنا أكثر صدقًا في طلب ما عند الله سبحانه؛ لأنه محسن.

يا قوم، أَحبَّ الله الإحسان، وأَحبَّ المحسنين؛ لأنه محسن، فلا يراك الله إلا محسنًا، وقد كتب الإحسان على كل شيء.

إحساننا في حياتنا يجعلنا أكمل إيمانًا، حَسْبكم أن أعلى درجات ديننا الإحسان، أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

إحساننا طرفٌ من معاني إحسانِ ربنا إلى خَلقه، أَحسِنوا؛ إن الله يحب المحسنين، وعَلِّقوا قلوبكم بربكم المحسن -جل في علاه-.

والسلام عليكم ورحمة الله.